

(أساليب القرآن في خطاب الملحدِين (الدهريين

• **الأسلوب لغة:** تحمل هذه الكلمة الكثير من المعاني، لذلك فهو متنوع الاستعمال، فالأسلوب: يقال للسطر من النخيل، والأسلوب الطريق الممتد، وتأتي أيضاً بمعنى: الطريق، والوجه، والمذهب، والأسلوب بضم الهمة: الفن، فإذا قيل: أخذ فلان في أساليب من القول، يعني: أفانين منه

• **الأسلوب اصطلاحاً:** عرف بتعاريف عديدة، فعند عبد القاهر الجرجاني الأسلوب هو: "الضرب من النظم والطريقة فيه". بينما يرى ابن خلدون أن الأسلوب هو: "صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص.

• ولو تأملنا كلا التعريفين نرى أن الأسلوب عندهم تطابق اللفظ للصورة الذهنية؛ أي بعد أن تتكون الصورة في الذهن ثم يعبر عن هذه الصورة أو التفكير بالألفاظ والتعابير.

• **الخطاب القرآني:** هو خطاب الله تبارك وتعالى، للمكلفين سواء كان طلباً ونهياً، وترغيباً وترهيباً، ووعداً ووعيداً، وإخباراً وتذكيراً، واعتباراً وإنذاراً، ونحو ذلك من أنواع الخطاب.

## • الملحدون.

• **الإلحاد لغة:** أصله من (لُحِدَ)، قال الجوهري: "أَلْحَدَ فِي دِينِ اللَّهِ، أَي حَادَ عَنْهُ وَعَدَلَ. وَأَلْحَدَ الرَّجُلُ، أَي ظَلَمَ فِي الْحَرَمِ. وَأَصْلُهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [الحج: 25] أي: إِلْحَادٌ بِظُلْمٍ، وَالْبَاءُ فِيهِ زَائِدَةٌ". وتأتي أيضاً بمعنى الميل عن القصد، والشيق الذي يكون في جانب القبر الذي يوضع في الميت، والحد اللجوء.

• **الإلحاد اصطلاحاً:** فإننا حين نتحرى عن معنى الإلحاد في الإصطلاح نجد أنه هناك مفهومين للإلحاد، **المفهوم الأول** ينظر إلى الإلحاد كنوع من الإشراف بالله تعالى. يقول ابن قتيبة الملحد: " فَهُوَ الْعَادِلُ الْجَائِرُ عَنِ الْقَصْدِ وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ: {إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَحْفَظُونَ عَلَيْنَا} [فصلت: 40] ، أي: يَجُورُونَ وَيَعْدِلُونَ، ويقول الطبري: "الإلحاد في الدين وهو المعاندة بالعدول عنه والترك له"، وقيل الإلحاد هو: "الميل عن الحق والصراط المستقيم علماً وعملاً".

• وقد يكون الإلحاد بالتأويل الباطل البعيد عن الحق في وصف الخالق والدين، كما في قول بعضهم للملحد بقوله: "الملحد هُوَ مَنْ مَالَ عَنِ الشَّرْعِ الْقَوِيمِ إِلَى جِهَةٍ مِنْ جِهَاتِ الْكُفْرِ كَالْبَاطِنِيَّةِ أَوْ الطَّاعِنِ فِي الدِّينِ مَعَ ادِّعَاءِ الْإِسْلَامِ أَوْ الَّذِي يُوَوِّلُ فِي ضَرُورِيَّاتِ الدِّينِ لِإِجْرَاءِ أَهْوَائِهِ".

• **أما المفهوم الثاني:** فإنه يُعَرَّفُ الملحد بأنه المنكر للخالق جملة وتفصيلاً، وبهذا يكون الملحد من ينكر الدين قاطبة، وإنما الكون وما عليه إنما هو نتيجة الطبيعة والتطور في الأنواع.

• **ومن الملحدين طائفة يسمون بالدهريين،** والدهريون كما قال الغزالي: "هم طائفة من الأقدمين جحدوا الصانع المدبر، العالم القادر، وزعموا: أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه، وبلا صانع.

• والدهرية نسبة إلى الدهر، وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم في قوله تعالى: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} [الجمانية: 24]، فهم صنف من الملحدين، وهم يسندون الحوادث إلى الدهر، واستقلال الدهر بالتأثير، ويقولون إن الدهر هو حركات الفلك، وأن العالم يدار بمقتضى تأثير هذه الحركات.

• وقد خاطب الله تعالى الملحدين بأساليب عديدة من أجل بيان بطلان عقيدتهم وزيف أفكارهم،  
ومن هذه الأساليب:

### • أسلوب الحقيقة.

• فمن أسلوب الحقيقة في خطاب الملحدين قوله تعالى: {وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [يونس: 11] ، فقوله تعالى: {فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} ، خطاب للذين لا يؤمنون بالبعث ولا بالنشور وهم الملحدون، وهو خطاب بأسلوب الحقيقة وذلك بقوله تعالى: {فَنَذَرُ}، وهي هنا حقيقة في التَّرك، قال الماتريدي: "أي: نتركهم يترددون في أعمالهم، وجرمهم إلى الوقت الذي وعد لهم العذاب، والله أعلم".

## • أسلوب المجاز

- ومن أسلوب المجاز الذي خاطب بها الله تعالى الملحدين قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا} [الفرقان: 21]، فقوله تعالى: { لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا }، مجاز، ومعناه: لا يخافون ولا يخشون، اي بعد الموت.
- وقيل معناه: "لا يؤمنون بالحشر والنشر، والرجوع الى الله في القيامة من الدنيا، وكما كانوا لا يخافون العذاب، ولا ينتظرون الحشر كذلك كانوا لا يؤمنون لقاء الله". وبذلك يكون مجازاً في الإيمان.

## • أسلوب الكناية.

• ومن أسلوب الكناية التي خاطب بها الله تعالى الملحدين قوله تعالى: { قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ إِلَّا سَاءَ مَا يَزُرُونَ } [الأنعام: 31]

• فقوله تعالى: { وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ }، خطاب بأسلوب الكناية، فيحملون أوزارهم على ظهورهم كناية عن تحمل الذنوب؛ لأن العادة حمل الأثقال على الظهر.

## • أسلوب الصريح.

• ومن أسلوب الصريح في خطاب الملحدين قوله تعالى: { قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ إِلَّا سَاءَ مَا يَزُرُونَ } [الأنعام: 31]، جاءت الآية الكريمة خطاباً للملحدين بأسلوب الصريح، فقوله تعالى: { قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ }، صريح في معنى الخسران، أي: خسروا ببيعهم الإيمان بالضلالة، ومنزلهم في الجنة، بمنزلهم في النار، ويتبين خسران بيعهم وندامة صفتهم إذا جاءتهم الساعة.

## • أسلوب تشبيه الشيء بالشيء

- ومن التشبيه الشيء بالشيء في خطاب الملحدين قوله تعالى: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ} [يونس: 45]، الآية خطاب للملحدين الذين كذبوا بالبعث، حيث شبه الله تعالى هؤلاء بمن لم يلبث إلا ساعة من النهار. فهي خطاب بأسلوب تشبيه الشيء بالشيء.

## • أسلوب الإستفهام والمناظرة.

- منها إستفهام تقرير، كما في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أُعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأعراف: 147]، تحمل الآية الكريمة أسلوب الإستفهام في خطاب الملحدين وذلك بقوله تعالى: {هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} {چه ه ه ه ب هچ، ف (هل) حرف إستفهام، وهو يفيد التقرير، ويعني: أنهم لا يجزون إلا بما يستحقون من العقاب



## • أسلوب الترهيب.

- ولقد خاطب الله تعالى الملحدين أيضاً بأسلوب الترهيب كما في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ} [يونس: 7]،
- بعد أن وصفهم بالصفات المذكورة في الآية السابقة خوّفهم الله تعالى بقوله: {أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [يونس: 8]، أي: أولئك المتصفون بالصفات السابقة من عدم الرجاء وحصول الرضا والاطمئنان والغفلة، مثواهم ومكان إقامتهم نار جهنم، بسبب ما كانوا يكفرون ويكذبون بالمعاد، فهذا حال الذين لا يؤمنون بالمعاد.

## • الأسلوب الفكري والعقائدي.

- فمن الأسلوب الفكري في خطاب الملحددين قوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَحَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ} [الرعد: 2]، الآية خطاب للملحددين، جاء ليبين لهم أن هذا الكون له إله، وأنه رفع سماءها بغير عمد ترونها أي: لها عمد في الحقيقة، ولكن تلك العمد هي قدرة الله تعالى وحفظه وتدبيره وإبقاؤه إياها في الجو العالي، إلا أنهم لا يرون ذلك التدبير، ولا يعرفون كيفية ذلك الإمساك.
- حيث وجه الله تعالى أذهانهم إلى التفكير في كيفية ثبات السماء من غير أن يكون لها عمود يستند إليه، وقوله تعالى: { لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ }، أي: لكي تصدقوا بالبعث بعد الموت، فهذه الدلائل المذكورة تدل على وجود الصانع، وتدل أيضاً على صحة الحشر والنشر

## • أسلوب التبييس.

• ومن أسلوب التبييس في خطاب الملحدين قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًا كَبِيرًا (21) يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا} [الفرقان: 21، 22]

• فقوله تعالى: { لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا } ، خطاب بأسلوب التبييس، لأن الملائكة يتلقون المؤمنين بالبشرى على أبواب الجنة، أما بالنسبة لهؤلاء الكفرة فيقولون لهم: لا بشرى لكم، فعدم البشارة يبعث التبييس في قلوبهم، فالبشارة بالخير قبل الوصول إليه فيه فرح وسرور للمبشر به، أما بالنسبة لمن لم يبشر بالخير فإنها تؤدي إلى اليأس والقنوط، ويعلم أن ما بعده أسوأ.

## الحكمة من تنوع أساليب القرآن في خطاب الملحين

- أن الناس كما هو معلوم متنوعوا الطبائع، ومختلف الأزمان، لذلك تنوعت أساليب القرآن في خطاب الإنسان مراعية تلك الطبائع، ومراعياً إختلاف الزمان؛ لأن طبيعة التأثير تختلف من إنسان إلى آخر، وكذلك تختلف بالنظر لزمن المخاطبين من عصر إلى عصر.
- وقد جاءت تلك الخطابات بأساليب متنوعة بهدف التأثير على المخاطب حسب حاله وطبعه، فمن مخاطبة للفطرة الإنسانية، ومن استدلال بواقع الأشياء المحسوسة، إلى مجادلة عقلية، إلى تذكير بعاقبة الأمم السابقة، إلى لفت نظر إلى واقع القصور البشري، ولما كان المخاطبون هم جملة الناس بمختلف طبقاتهم وفئاتهم وعلى اختلاف مستوياتهم الفكرية والثقافية، جاء في القرآن الكريم من الأساليب والأدلة والأمثال ما يعم الشرائح الاجتماعية على مختلف العصور والبيئات.

• فالحكمة إذاً من تنوع الأساليب إنما هي للتأثير على المخاطبين بكافة أصنافهم وأطيافهم، وإقناعهم بعبادة الله تعالى، والتصديق بما جاء به محمد ﷺ وإعتناق الإسلام، فإن تنوع أساليب القرآن في الخطاب إنما هي لتنوع أصناف الإنسان.

• لذلك سلك القرآن الكريم كل سبيل، ليصل الى نفوس غير المسلمين، ويقنع الجاحدين، ويثبت المؤمنين، وقد لَوّن القرآن في طرق الهداية والدعوة، ومواجهة النفوس الجامحة.

• ولذلك فإن القرآن الكريم يختار أفضل أساليب الخطاب لهداية الناس، قال تعالى: ﴿رَبَّنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (9) وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا { [الإسراء/9]

- باختلاف طبائع الناس تحتاج إلى تنوع الأساليب حسب تنوع الأصناف، فهناك صنف من الناس من تتأثر بقوة البلاغة، وفصاحة اللسان، ومن المستحيل مقارنة بلاغة الإنسان ببلاغة القرآن، والذي يشمل هذا الجانب تلك الأساليب اللغوية التي تتضمن أسلوب الحقيقة، والمجاز، والصريح، والكنائية، والإيجاز والإطناب. كما في إسلام عمر بن الخطاب □، عندما قرأ سورة طه، وسمع أخته تقرأ سورة العلق، أثر في نفس عمر مما جعله يسلم، فقال: والله ما هذا بشعر، ولا همهمة.
- فالذي أثار في نفس عمر بن الخطاب □ بلاغة القرآن وفصاحته.
- وهناك صنف من الناس تؤثر عليه القصص ويوليها اهتماماً كبيراً ويعتبر بها. لذلك جاءت كثير من آيات القرآن بأسلوب القصة، والتي تعد من أوسع أساليب القرآن الكريم في خطاب المشركين ودعوتهم إلى التوحيد، وذلك لما للقصة من تأثير في النفوس البشرية، ولسهولة حفظها وانتشارها بين الناس

• وصنف من الناس من لا تنفع معه الأساليب البلاغية وما يشملها، ولا تنفع معه الأساليب القصصية؛ لأنه لا يتأثر بهما، لذلك فإن القرآن الكريم لا تتوقف عند هذا الحد؛ بل يأتي بأساليب أخرى لعلها تنفع معهم فيعودوا إلى رشدهم ويؤمنوا بالله سبحانه وتعالى، كأسلوب الترغيب والترهيب، الذي له التأثير الكبير على غريزة الإنسان.

• وصنف من الناس لا يقتنع ولا يتأثر إلا إذا خاطبته عن طريق الحوار والجدال المبني على أساس الأسلوب الفكري والمنطقي؛ لأنه مقتنع بشيء آخر، ويرى نفسه على الصواب؛ وذلك لاعتماده الكلي على عقله، وعقل الإنسان قاصر وناقص أمام علم الله تبارك وتعالى، ولذلك يحتاج هذا الصنف من الناس إلى تحليل القضايا ومناقشتها مناقشة منطقية وفكرية

- ومن الناس صنف لا تستطيع أن تقنعه إلا إذا خاطبته بأسلوب لين وعاطفي، حيث مثل هذا الصنف من الناس تغلبه جانب العاطفة والرفق ويستسلم لها بسهولة، إذ العاطفة والرفق تكون من إحدى أسباب الحصول على المراد، فعن النبي ﷺ عندما قال لعائشة رضي الله عنها: «يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه»؛ لأن في النفس الإنسانية قوتان: أحدهما قوة التفكير، والثاني قوة الوجدان. ولكل واحدة منهما حاجة غير حاجة أختها.
- وهكذا بالنسبة لبقية الأساليب القرآنية، حيث كل صنف من أصناف الإنسان قد يتأثر ويتقنع بأسلوب من هذه الأساليب، والغاية من نزول القرآن إنما هي لدعوة الناس إلى عبادة الله تعالى، والذي فيه مفازهم ونجاتهم من النار، وهذا من لطف الله تعالى وكرمه أن تنوع من أساليب القرآن من أجل إقناع أكبر فئة من الناس، فيؤمنوا بالله تعالى